باب المشارفة والانتقاد

Comptes rendus et critique.

٨ ــ الربيعيات

رفائيل بطي

الربيعيات (؟!) والصواب ربعيات اسم طيب على الاذان ، لا تكاد تسمع به انت إلّا وتتصور بين يديك ازهار الربيع بانواعها والوانها واختلاف روائحها على انك قد تجد في اكمة تلك الازاهير الربعية خنافس دقيقة او هوام متنوعة او زنابير لاسعة . وعلى هذا المثال وجدنا ربعيات رفائيل ، ففيها كل ما اشرنا اليه من محاسن ومساوىء .

اما محاسن تلك الازاهير ، فهي تلك العبارات الانيقة ، المحكمة الوضع ،

لا معنى لاستعمالها في العربية لان لغتنا مستغنية عنها وهي قديمة الدخول في لساننا نقلها عرب الاندلس المسيحيون في المائة الثالثة عشرة للميلاد او في المائة السابعة للهجرة عن اليونانية Chrisma على رأي دوزي المستشرق الهولندي . وعندنا انها من اليونانية Cathierôsis بمعناها . واما الاولى فمعناها زيت التقديس يمسح به ما يراد ارصاده بالله او بالقدسيات .

على ان فصحاء العرب كرهوا اتخاذ هذه الكلمة لما في معناها من الحقارة ففي لسان العرب : التكريس ضم الشيء بعضه الى بعض ويجوز ان يكون من كرس الدمنة (بكسر الكاف) حيث تقف الدواب ... وابوال الابل والغنم وابعارها يتلبد بعضها على بعض في الدار . اه ولهذا نرانا في مندوحة عن استعمالها معتاضين عنها بالفاظ عربية صرفة . مثل : خصص وارصد وسبل (بتضعيف الباء) وقدس (بالتضعيف) الى امثالها وهي كثيرة .

على اننا قد بحثنا عن وجودها في مؤلفات العرب غير النصارى فلم نجد لها اثرا . فنبذها اذا خير من الاحتفاظ بها على غير طائل .

البديعة الرصف . المختارة الالفاظ . الرشيقة المعاني . وفي اغلبها من الرقة والسلاسة ما لا تجدها في اكبر كتبة هـذا العصر . ولا بدع في ذلك فان الكاتب وهب حظا وافرا من الصنعة الساحرة . ومن ينكرها عليه . فقد انكر على الشمس ضياءها في رائعة النهار .

على ان في تلك الازاهير خنافس سوداء . تدأب في سلبها روائحها واطايبها واول هذه الخنافس انه يكتب شيئا ويريد شيئا آخر . قال في اول كلمة نقشتها انامله في صدر كتيبه (الواقع في ١٠٠ صفحة من قطع ١٦) : « يا اماه . هذه كلمات تعبر عن خوالج نفس اثارها الحس والشعور . فكان حسها داعي لذتها ، وشعورها علة المها . لهذا اهديها اليك .

فحاولنا ان نفهم ما قال . فذهب عناؤنا في الاول عبثا ، ثم فكرنا بعد ذلك مليا ، فاتضح لنا انه يريد بالخوالج : الخواطر والهواجس او المختلجات ؛ اما الخوالج فجمع خالجة وهذه من خلجه اي جذبه وسلبه ونزعه وحركه . ثم ان العرب تخص وقوع المختلجات بالصدر لا بالنفس — وقوله اثارها الحس لا معنى له : ولعله يريد الاحساس مصدر احس بالشيء اي ظنه ووجده وابصره وعلمه . واما الحس فهو الحركة وان يمر بك قريبا فتسمعه ولا تراه . والصوت ، ووجع يأخذ النفساء بعد الولادة ، وبرد يحرق الكلأ ، وقد حسه : احرقه . فهل اراد شيئا من هذا او هذا كله ؟ . — وقوله : كان حسها (اي حس الخوالج) داعي لذتها . كلام مغلق يحتاج الى ان يطلب القارىء مفتاحه الى من تولى اغلاقه . ولعل مراده : فكان الاحساس بها داعيا الى التلذذ بها ، وحينئذ تبدولك في سماء المعنى سحابة ماطرة . وقوله: « وشعورها » لا ينطق بها عربي . بل نقول : والشعور بها . واما قوله وشعورها علة المها . فهو قد لا يكون كذلك اذ قد يشعر المرء بشيء فيتألم منه . وقد يشعر به فيستلذ به .

هذه الخنافس وجدناها في اول بزعومة انفتحت لنا . فما قوله بخنافس سائر البراعيم .

واما الصفحة الثانية التي وسمها « بصريح القول » فاننا نرى انه لم يعنونها كما يجب . فلو جلاها بقوله : « بمغلق القول » لكان اوفق للموضوع . فلقد

اعملنا الفكرة في تفهم تلك الاسطر الستة. فلم نوفق له ، فعسى ان يهتدي غيرنا الى ما يريده الكاتب .

والخلاصة فهمنا من هاتين الصفحتين ان الناطق بتلك المفردات الفريدة لا يريد ان يجمع من تنسيقها معنى يمثل حقائق وصورا بينة . بل يريد فيها دندنة وطنطنة وطقطقة وشقشقة وبقبقة . ولهذا لا نريد ان نتبعه في جميع ما جاء به على هذا الحذو المبارك!

تعال الان تنظر مافيه من صغار الزنابير اللاسعة . فالظاهر ان الرجل عصبي في غاية العصبية . فهو يمجد بعض المتهوسين ويلقب بعض الرجال الهادئين لاركان الراحة والسلام بالقاب ضخمة لاتصلح لهم إلّا من قبيل الهزء والسخرية . فقد قال مثلا في ص ١٠ : «سمعت نداء المصلحين والمبشرين من عهد «بوذا» «وكنفوشيوس» الى يوم « كارل ماركس » و « تولستوي » ، فعلمت ان هذه التعاليم ، مع كل ما حوته من الحكمة (؟) والسداد (؟) ليست بكافية لتغيير سبيل الحياة الذي سار عليه البشر » لا اعلم ما يريد بالمصلحين والمبشرين ؛ كما لا اعلم كيف جعل بوذا وكنفوشيوس وكارل ماركس وتولستوي من طبقة واحدة ؟ وهل في تعاليم هؤلاء الاربعة حكمة وسداد ؟ فان كانتا فيها ، فلم بقي الاخذون بها على غير سبيل الحياة الذي سار عليه البشر ؟ — وفي الفصل الذي عنوانه « النابغة » (ص ٦٦ الى ص ٧١) مالا ينطوي فحواه على غير الريحاني معبوده. بل عليه نفسه. وكله كلام لو قاله غيره لوصمه بالمعتوه والمجنون . لكن الظاهر من كلام رفائيل انه يجوز له ان يمدح نفسه بل يؤلهها . ولا يجيز لغيره ان يتنفس هواء الجو الذي يستنشقه وذلك لانه قال (في ص ٧١) « وسوف يعرفني رفاقي (لعلها رفقائي) متى رفعوا الغشاوة عن اعينهم (لعلها عن عيونهم . وذلك لان على عيون جميع لدات الكاتب غشاوة إلّا هو فانه يبصر . أفيجوز له ان يمدح نفسه على هذا الطراز البديع ؟) فيعلمون انني واياهم في الجوهر (اي جوهر ؟) متفقون وان اختلفنا في الاعراض (اي اعراض تريد ؟ افصح لنا لنؤاخيك ونتخذك استاذنا وامامنا .)

اسمعت رفائيل مسمومة ! لا نريد ان نستزيد منها ، فلا بد من انها تحدث ورما . فلننتقل الى الهوام التي في تلك الزهرات الربيعية .

ونريد بالهوام الاغلاط الصرفية والنحوية واللغوية . واول هذه الكلمات، اول لفظة في هذا الكتيب ، فقد عنونه بالربيعيات ، وليس للكلمة وجودفي العربية ولعله يريد « الربعيات » بكسر الرآء نسبة الى الربيع . والفصحـــاء لم ينطقوا بغير الربعي والجمع ربعيات ـــ وقال في ص ٥ : فاذا رأى فيها بعض القراء ... والصواب فان رأى :

فيص ٩ س ٨ من ثور تلك الاعصار الهائلة والصواب ذلك الاعصار الهائل لان الاعصار (بكسر الهمزة) مفرد . والجمع اعاصير وليس بجمع البتة كما توهمه .

ص ٤ فيثور على الوجوه والمقدمين الانويين . لا اعلم مايريد بالانويين ، فلعله يريد بهم ما سماهم الاخرون بالانانيين ويريدون بهم المستأثرين . فعسى ان يصح حدسي .

ص ١٦ عيناها الزرقاوان يشعان نورا وينفذان بسحرهما ... لعله يريد تشعان نورا وتنفذان بسحرهما .

في تلك الصفحة : ثغرها الوردي ... وهـذه اول مرة نرى الثغر يوصف بالوردي : والمعروف عند العرب ان الثغر هو الاسنان او مقدمها او ما دامت في منابتها وتوصف بالبياض الناصع

وفي ص ١٩ : « تغسل امواج الامل قدميك العاجيتين في نهر الحياة . كلما عبثنا برمال الشاطىء باحثة عن «خاتم البخت» مستفهمة من اكوامها واحافيرها نبأ مستقبلك » ـــ قلنا : الى من يعود تأنيث باحثة ومستفهمة واي معنى هناك ولعله يريد : باحثين (نحن الذين نعبث برمال الشاطىء) عن خاتم البخت مستفهمين ...

في ص ٢٢ : في تلك المغارة : التي لا يسمع فيها : إلّا حفيف الاغصان الجرداء ... لا يا حبيبي رفائيل ليس في المغاور اغصان خضراء ولا جرداء فكيف يسمع فيها حفيفها .

في ص ٢٣ ،ولود عجيب يدعى « يسوع » في حضـانة والدة ... لا افهم الحضانة هنا ، فماذا تريد بها ؟

وفيها : وتراكضت الامهات لتهنئ الوالدة الجديدة بميلادها الغريب ... يا له من تعبير يخالف ما في التفكير. الامهات يهنئن الوالدة بولادتها الولد العجيب لا بميلادها اي وقت ولادتها . والولادة هنا عجيبة لا غريبة . فكيف يجمع بين اشياء مخالفة للحقيقة ؟

وفي ص ٢٥ — القياصرة العاتين . أيجمع عات على عاتين ام يكسر على عتاة وعتي ؟

وفيها — قليلون هم الذين فهموا سر الحياة لهذا الطفل العظيم ؛ تعبير ركيك واحسن منه : سر الحياة حياة هذا الطفل العظيم .

وفي ص ٢٦ : عيشة الحكماء والمشرعين ... والصواب والشارعين أو المشترعين .

وفي ص ٢٧ : ولم يخاطب جيله الحاضر ؛ واحسن منه : المعاصر

وفيها : الاجيال القابلة بمعنى المقبلة وهي غريبة جدا

ولا نريد ان نتتبع الكاتب في جميع هناته ؛ وقد اكتفينا بما ذكرنا .

ونود ان لا يتعرض للمباحث التي هي خارجة عن نطاق علمه من دينية وفلسفية وما يماثلها . وذلك اضمن لراحته واسلم له من العثار .

٩ — محاضرات في تاريخ مدن العراق

(في ١٣٦ صفحة بقطع ١٢)

القاها يوسف رزق الله غنيمة

في مدرسة دار المعلمين العليا ببغداد سنة ١٩٢٢ — ١٩٢٤

طبع بنفقة المكتبة العصرية في بغداد لصاحبها محمود حلمي

هذه الرجال الذين يقبلون ان تنتقد كتبهم لا يكاد يكون له وجود : فانهم قليلون في بلادنا هذه الشرقية. ولاسيما في العراق؛ اما في سورية والديار المصرية فقد فهم الناس ان لابد للنقد لاصلاح ما في مؤلفاتنا من الاوهام والاغلاط وسوء المذهب في المباحث العلمية : اذ يغلب فيها الجهل العلم .

اما صاحب هذا الكتاب فعجيب في جميع ما يكتب ويتكلم ويرتئي . اذ

قلما نرى من يصارعه في هذه الامور الثلاثة : لانه ان كتب ابتدع وان تكلم افحم وان ارتأى رأيا بز فيه من تقدمه — نقول هذا لان صاحبه كتب الينا حين اهدانا تصنيفه : « اطلب اليكم ان تنتقدوه ولا تقرظوه او تشارفوه فقط لان في النقد فائدة للقرآء ولي ولكل من يروم الوقوف على الحقيقة »

فاجابة لطلبه نقول : ان الكتاب على ماهو درة من الدرر . لاننا لم نر الى الان من تعرض للمباحث التي طرقها الكاتب المحقق،فانه جعل موضوع ما كتب الكلام عن مدن العراق المندثرة . وانما لم تذكر هذه الكلمة لانما اراد وضع تأليفه على قسمين : قسم يخصه بالمدن المندثرة . وقسم بالمدن الحاضرة . ولكن اشغاله منعته دون تحقيق امنيته كلها . فخص هذا القسم بالمدن المندثرة ؛

والباحث الاجنبي اذا اراد الوقوف على ما كان في ديار العراق من المدن العتيقة وجد في لغته الانكليزية اوالفرنسية اوالايطالية اوالالمانية اوالاسبانية مولفات كثيرة تفي بالمطلوب : اما العرب سكان هذه الديار المباركة فانهم لا يعثرون على شيء من هذا القبيل . فيضطر الى ان يسأل هذا وذاك للوقوف على ما كانت ديارة في سابق العهد . ولذا سد هذا الكتاب ثغرة ؛ بل فجوة واسعة في تاريخنا .

جميع ما تطالعه في هذه الصفحات منقول عن عدة لغات وعن اصحاب القدم الراسخة في مايصنفون . ولذا يحق للقارىء ان يعتمد كل الاعتماد على ما تخطه يراعة صاحب « الغنائم »

على اننا لا ننكر ان هناك بعض الاوهام تحتاج الى تصحيح في الطبعة الثانية وتقسم هذه الاوهام الى ثلاثة : اوهام طبع ، واوهام اعلام ؛ واوهام نحو او لغة .

فمن اوهام الطبع التي تصلح في باب التصويب ما هذا بعضه :

ص	س	ك
٤	١٣	٦ الا آمال صوابها الامال
٥	١١	١٠ ولم يكونا هذان النهران ؛ ولم يكن هذان
٦	٣	٥ اخذ طما دجلة والفرات والعظيم ؛ وعظيم بدون ال وهو الذي كان

ص س ك

يعرف في عهد العباسيين باسم نهر باعيناثا

٨ ٣ ٤ نبذ النوات ؛ نبذ النواة

١٥١٠ ١٠ تقولون باني نسيت ؛ تقولون اني نسيت

ولا نريد ان نزيد على هذا القدر ، لانه كثير .

واما اوهام الاعلام فان حضرته جرى على تسمية بعض الاعلام القديمة بمد حروف العلة وهي في الاصل مقصورة ، ولاجرم انه جرى مجرى بعض العصريين الذين يأخذون تلك الاعلام عن ابناء الغرب ، ولا يحققون بانفسهم الاصل الذي اخذ عنه . فقد قال مثلا في ص ٥ : نار ماراتو والصواب نر مراتو واحسن منها : نر مرات ، بضم التاء المبسوطة ، لانها كذلك في اللغة الاشورية وليست بحرف فكانك تقول النهر المسمى مرات ، وهو الفرات — وقال في ص ٩ هيرودوت واخيل وارستوفان وارسطاطاليس ، والصواب ان هذه الاسماء هي يونانية ولما كانت كذلك فيحسن بنا ان نبقي عليها ثوبها اليوناني حتى ينتبه القارىء الى تلك المزية . واهذا قال الاقدمون من السلف : هيرودوتس واخيلس وارستوفانس وارسطاليس ونقول اسكندر المكدوني لا المقدوني كما قال في تلك الصفحة — وقال في ص ١٢ رولنصون ورولونصون ونحن نخير عليهما اللفظ الانكليزي الحقيقي وهو رولنصن — وكتب سبار وشماش (ص١٨) ونحن نخير الكتابة الاصلية السامية سبر (بتشديد الباء المثلثة الفارسية) اوسفر (لان الباء المثلثة تنقل الى فاء) وشمش — وكتب ص١٩ نبور ونرجال وشربورلا ولا كاش واوروك واشتار . ونحن نفضل عليها الرواية السامية : نبر (او نفر) ونرجل وشربرلا ولجش وارك واشتر . الى ما ضاهى هذه الاعلام .

واما اوهام النحو واللغة فكقوله في صفحة العنوان : في مدرسة دار المعلمين فبدار غنى عن ذكر المدرسة — وفي ص ٢ لما دعتني وزارة المعارف الجليلة لالقي والصواب الى ان القي — وكقوله : عظم سروري اذ كان السامعون طائفة : والمعنى يتطلب ان يكون : وعظم سروري حينما رأيت السامعين — وذكر في ص ٣ : مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع للسيوطي . ونحن لا نعلم

مؤلفا للسيوطي بهذا الوسم . اما مراصد الاطلاع المشهور فهو لتقي الدين عبدالمؤمن بن عبدالحق (راجع مخطوطات خزانة الكتب الاهلية في باريس ص ٣٩٢) ويروى : عبدالمؤمن صفي الدين ابن عبـــدالحق والرواية الصحيحة هي الواردة في كتاب الرد الوافر في ترجمة صفي الدين ابي الفضائل عبد المؤمن بن عبدالحق بن عبدالله بن علي بن سعود البغدادي الحنبلي المولود في جمادى الاخرة سنة ٦٥٨ ﻫ (١٢٦٠ م) اذ يقول المؤلف : وله كتاب مراصد الاطلاع على اسماء الامكنة والبقاع وهو مختصر معجم البلدان . توفي صفي الدين في صفر سنة ٧٣٨ ﻫ (١٣٣٨ م) . ـــ وقد طبع هذا الكتاب في ليدن طبعا متقنا في سنة ١٨٥٠ م ثم طبع مرتين في بلاد ايران ، وهو احسن طبعة تتخذ . اطرد الشياطين فان الاغلاط الواردة فيها تعد بالمئات وكلها من قبيل « الضبغطرى » تفزع بها الارواح النجسة وتقصيهم الى حيث لا يسمعون تلك الكلم المشوهة .

اما مراصد الاطلاع للسيوطي فانه لم يتمه ولم يطبع .

ومن الاغلاط المخالفة للاصول العربية قوله في ص ٥ : يجدر بنا ـــ قبل ان نبحث عن مدن العراق القديمة واحدة فواحدة ـــ تنظر نظرا عاما . والصواب ان تنظر ـــ وقال في ص ٦ هضاب الرمال . وفي آخر الصفحـــة تلولا من الرمال والصواب ان العرب لا تقول في مثل هذا المعنى إلّا حبال الرمال (بالحاء المهملة) في كلا التعبيرين ـــ وفي ص ٧ وفلوات رملية جدباء . ولو اكتفى بالكلمة الاولى لكان احسن . لان الفلوات لا تكون إلّا كما وصفهـــا ـــ وفي ص ١٣ بينها صفائح الاجر المشوي . والطين المجفف في الشمس . ولو قال : بينهـــا صفائح الاجر واللبن ؛ لاستغنى عن بقية الالفاظ لان الاجر لا يكون إلّا مشويا واللبن لا يكون إلّا مجففا في الشمس ـــ وقال الاسطوانات . والعراقيـــون يسمون هذا الشكل من العاديات بالشمـــامات وهو اسم على مسمى . احسن من قول الافرنج : الاسطوانات . لانها تشبه الشمام كل الشبه .

وهناك غير هذه الهنات وهي كلها تحسن منظر الكتاب لانها كالشامة في وجه الحسناء كما يصفها بعضهم . اذ لا يخلو كتاب من مثلها بل اكثر منها .

١٠ــ كتاب مرشد الطلاب الى قواعد لغة الاعراب

لرزوق عيسى ـ الجزء الاول في الصرف

طبع في المطبعة السريانية الكاثوليكية في بغداد سنة ١٩٢٢

في ١١٢ صفحة بقطع الثمن الصغير

كتب الصرف والنحو اكثر من ان تحصى . ابتلانا بها الاقدمون ولا يزال المحدثون يزيدوننا بلاء بتصانيفهم الجديدة. هذا ما يقال بوجه عام عن هذا الصنف من العلم : ولو اجتهد الناس بدرس العلوم المفيدة من طبيعيات ومواليد وكيمويات ورياضيات الى نظائرها لافادونا اكثر واستفادوا هم ايضا على حد ما يفعل ابناء الغرب .

على ان كتاب مرشد الطلاب مفيد من عدة وجوه : اولا لانه سهل العبارة واضحها قد لا يحتاج المتعلم الى تلقي معناها عن معلم ــ ثانيا لانه حسن التبويب : تتسق فصوله اتساقا يأخذ بعضها برقاب بعض ــ ثالثا لان في تمارينه وشواهده اقوالا حكمية ونصائح مفيدة . فالطالب يرضع البان الاخلاق الطيبة مع مبادىء القواعد العربية ــ رابعا : لان في آخر كل درس خلاصة تحوي لباب ما تعلمه التلميذ في سطور عديدة .

هذا من جهة الحسنات التي قلما تشاهد في كتاب صغير من مثله . ولما كان كل تصنيف لا يخلو من عيب ولو كان طفيفا . ففي هذا المرشد شيء من هذا القبيل . فقد يجيء ببعض عبارات غير كافية لتأدية المعنى المطلوب . ــ قال مثلا في ص ٤ : الكلمة لفظ يدل على معنى مفرد : ولو قال على معنى قائم بنفسه لكان اوفى بالمقصود ــ وفي ص ٩ وحيث لا حركة فهناك السكون : والصواب وحيث لا حركة فسكون وقد تكررت هذه الغلطة في ص ١٤ .

وفي بعض النصائح ما لا تحمد عاقبته كقوله في ص ١٣ : اهجر النوم ولو قال : اهجر كثرة النوم لكان هو المطلوب ــ وفي ص٢٥ « اذا اجتمعت بمن هو ارفع منك فكن اديبا » فكانه يقول : واذا اجتمعت بمن هو ادنى منك فلا تكن اديبا . وهو قبيح كما ترى : ولعله يريد ان يقول فكن خافض الحواس مثلا : بدلا من « اديبا » ــ وقال في ص٢٨ جر العربيه (بياء مثناة قبل الهاء)

ولعله يريد العربة اي العجلة . (والعربة تركيه اي ارنة واما العجلة فعربية) ثم ما ذا يريد بقوله : جر العربة : افهذه من النصائح التي يحسن بالمرء ان يتبعها . — وفي ص ٢٩ : « رأيت رجلا طلع الصباح في رأسه وخيم الظلام في قلبه» ولعله يريد طلع الضياء في رأسه . — وفي ص ٣١ من شاب عذاره لم تقبل اعذاره وهو كلام احدهم وفساده ظاهر : لان الاعذار تقبل ولاسيما اذا كان المعتذر رجلا كبير السن — وفي ص٤١ : اكرم من علمك ولوحرفا واحدا فهذا معناه اكرم ولو حرفا واحدا من علمك . وكان الاحسن ان يقال لامن اللبس : اكرم من علمك ولو علمك حرفا واحدا — وفي ص ٥٢ :

اعتزل ذكر الغواني والغزل وقل الفصل وجانب من هزل

ولو قال : وقل « الحق » لكان ابين لما في النفس — وقال في ص ٨٢

انا حامد انا شاكر انا ذاكر انا جامع انا ضائع انا عاري

ولو قال : انا جائع لكانت الكلمة المطلوبة في هذا البيت ؛ واما جامع فلا معنى لها هنا .

وقد وقع في الكتاب اغلاط طبع كما وقعت في سائر الكتب وكان يجب ان يعتنى كل الاعتناء بكتب الطلبة ليبعد عنها كل غلط مطبعة من ذلك :

ص	س	
٦	٧	البنات تخبطن والصواب يخبطن
١٥	٤	وهو حامل كيس ملح والصواب وعليه كيس ملح
١٥	٧	وتذكرة وصوابه تذكرة
٢٠	١٣	الق خبزك على الماء فتجده بعد ايام والصواب فتجده . وهذه العبارة لا معنى لها
٢٢	٨	باالعمل — بالعمل
٢٦	٨ الى ١٢	ذكر ابواب الفعل الثلاثي ولم يجرك عن الفعل في الماضي ولا في المضارع وهو عيب لا يغتفر في هذا المقام . وكان عليه ان يذكرها بالترتيب اللازم وبالتعبير الصريح. كما كان يجب ان يقدم باب ضرب على بقية الابواب الخمسة بعد باب نصر ثم يذكر باب